التطور الموجه

بين العلم والدين



مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية

التطور الموجه

بين العلم والدين

د. هشام عزمي

دار الكاتب للنشر والتوزيع
Elkateb for Publishing and Distribution

التطور الموجه بين العلم والدين

تأليف: د. هشام عزمي

مراجعة لغوية: محمد عادل

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٦

رقم الإيداع: ٢٧١١٢/ ٢٠١٥

الترقيم الدولي: ٨-١٦-٦٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع

الهاتف: ٠١٢٧١٠٣١٢١٨(٠٠٢) – ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠(٠٠٢)

للتواصل: info@dar-alkateb.com - fb.dar-alkateb.com - t.dar-alkateb.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of Publisher.
Dar-Alkateb for Publishing Distribution

إهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي

إلى أبي وأمي

أسأل الله جل وعلا أن يعينني على برهما

﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

الإسراء: ٢٤.

المؤلف



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل كمؤسسة غير ربحية مرخصة في لندن بالمملكة المتحدة، ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

BRAHEEN CENTER

for Studying Atheism
and Contemporary Issues of Faith

27 Old Gloucester Street, London,
United Kingdom, WC1N 3AX

• سياسة المركز: يعمل المركز بشكل أساسي على نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث نقدا منهجيا، مع مراعاة البعد النفسي للمتلقين بمختلف فئاتهم، والحرص على تركيز النقد على الأطروحات الأساسية للخطاب الإلحادي الحديث. كما تنتهج مخرجات المركز أساليب الإفحام، والنقض، والدفاع وكذلك أساليب البناء والإقناع والهجوم وتقديم البدائل قدر الإمكان. وتنحصر مخرجات المركز بشكل رئيسي في ثلاثة مجالات عريضة: علمية، فلسفية، شرعية.

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات العامة: info@braheen.com

لمراسلة رئيس مجلس الإدارة: alshehri@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com انستجرام: i.braheen.com

لماذا هذا الكتاب؟!

يشاكس بعض المسلمين باستماتة لإقناعنا بما يسمى بالتطور الإلهي أو الموجه Theistic Evolution، بالرغم من أن غالبيتهم يفتقرون إلى اطلاع حقيقي على هذا المنهج الملفق! والنتيجة الطبيعية لذلك هي تناقض فوق تناقض في أدبياتهم المنشورة. وبعيدًا عن التناقضات العلمية والمنهجية الجسيمة –سواء في المنهج الغربي أو في الصورة العربية المشوهة– التي لا يتسع المجال لشرحها هنا، فالحقيقة التي لا يمكن إغفالها أننا حين نطالع أفكار أشهر دعاة التطور الموجه في الغرب أمثال فرانسيس كولينز –في كتابه (لغة الإله)– وكينيث ميللر –في كتابه (Only a Theory)– نجدهم يتبنون التطور الداروينى العشوائي باعتباره التفسير الوحيد الحقيقي لأشكال الحياة على الأرض، ويرفضون أي احتمال لتدخل مصمم ذكي أو خالق. والأمر لديهم أن (الإله) في سبيل خلق العالم استخدم عمليات عشوائية لكي يحقق غاياته! وهو بذلك لا يختلف كثيرا عن الربوبية Deism –التي تدعي أن الله قد خلق العالم وتركه–، وفي الصورة العربية نجد استساغة غريبة للتطور والتصميم!

المشكلة الكبرى التي نحن بصددها، هي عدم إدراك إخواننا من المؤيدين لهذا المنهج لحقيقة أن تلك القوانين وضعت لتكون بديلا عن الإله وليست أدوات بيده، فالطفرات والانتخاب الطبيعي كآليات طبيعية لتفسير التنوع الحيوي لن يكون لها أي معني إذا كان هناك تصميم مسبق ومسار واضح وتدخل مستمر في العالم لتطبيق أهداف مقررة سلفا.

وكما يحكي ديفيد كوامن في كتابه (داروين مترددا) أن مبدأ الانتخاب الطبيعي قد اقتلع فكرة الهدف الرباني من جذورها، وأجهز تماما على أي نزعة غائية في العالم الحي، وقوض الاعتقاد السابق بأننا نحن البشر –خلافًا لكل أشكال الحياة الأخرى– نسمو روحيًّا ونحظى بمنزلة ربانية خاصة ونحوز جوهرًا غير مادي مخلد، وهو ما يمكننا من أن يكون لنا توقعات خاصة بالأبدية، ولذلك اصطدم داروين مباشرة مع المسيحية واليهودية والإسلام، وربما مع معظم الديانات الأخرى.

ولدت فكرة الانتخاب الطبيعي على يد كلا من داروين ووالاس، وفيما عدا داروين نفسه، لم يكن هناك من يفهم الانتخاب الطبيعي بأفضل من والاس، بل في الحقيقة كان حماسه المفرط يفوق أحيانًا حماس داروين نفسه. وبسبب فهم والاس لتلك العلاقة الصفرية بين الانتخاب الطبيعي والإله الموجه، المتحكم، القيوم، تراجع عن تأييده لفكرته السابقة ونشر في عدد إبريل من مجلة The Quarterly Review لعام ١٨٦٩ مؤكدًا على أن الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يفسر المخ البشري، وأشار لضرورة تواجد ذكاء متحكم يراقب عمل قوانين الطبيعة ويوجه التغيرات لإنتاج العقل البشري بروعته. ويكفي لفهم حال داروين بعد أن رأى ما كتبه شريكه، معرفة أن ما كتبه على هامش نسخته من المجلة كلمة واحدة فقط: «كلا!!».

يدرك أنصار التطور الموجه بالغرب معنى التطور جيدا، لذلك لم يتجرأوا على انتزاع مضمونه بإسقاط آلياته المحورية، وحين نطالع كتابات أحد أهم منظري هذه الفكرة فرانسيس كولينز في كتابه (لغة الإله) –والذي احتفى به كثيرون كدليل على الإيمان– نجد أنه لا يعدو كونه عرضا مكررا للداروينية الحديثة ممتزجا بـ "افتراض الكاتب الشخصي" بأن الله استخدم التطور كطريقة للخلق، بل أن عنوان الكتاب مضلل للغاية، فلغة الإله يعني بها الشفرة الوراثية وهي اللغة التي تكتب بها المعلومات

المُشكِّلة للحياة، ومنها يتوقع القارئ خلال فصوله أن يقوم كولينز بتبرير زعمه وتقديم الأدلة بأن الشفرة الوراثية أتت من قبل الله، لكنه يصاب بالإحباط، فكولينز لا يقول أي شيء كهذا على الإطلاق، لكنه يضع اعترافًا بالجهل حول منشأ تلك اللغة فيقول في الصفحة ٩٢: «لا يمكن لعالم جاد في الوقت الحالي أن يزعم أن التفسير الطبيعي لأصل الحياة قريب... هذا صحيح اليوم، لكنه قد لا يكون صحيحًا غدا». لكن حتى هذا الاعتراف بالجهل مجرد قناعة مؤقتة زالت في الصفحة ٢٠٠ من كتابه حين قال: «بينما الآلية المحددة لأصل الحياة على الأرض تظل غير معروفة، فإنه بمجرد نشأة الحياة، سمحت عمليات التطور والانتقاء الطبيعي بتطوير التنوع والتعقيد البيولوجي على مدى فترات زمنية طويلة للغاية، وبمجرد حدوث التطور لم تعد هناك حاجة لتدخل فوق طبيعي، إننا ليس لدينا أدني فكرة عن أية آلية طبيعية لأصل لغة الإله». فرانسيس كولينز المنظر الأشهر للتطور الموجه بالغرب فرغ إلهه من كل صلاحياته التي قد تؤهله لذلك، ويبقى إيمانه به دخيلًا متناقضًا على المادية، لا يبرره إلا بالطبيعة الروحية المميزة لنا نحن البشر.

الخلاصة؛ فكرة الإله الموجِهُ للتطور الداروينى لا يمكن أن تستقيم مع قيوميته وكماله، وتجعل من وجوده فرضًا دخيلًا زائدًا على التفسير، وفي أكثر التفسيرات تنزلا يمكن وصفه أنه إله يتعمد إخفاء وجوده وعدم إعلان نفسه لخليقته.

فهل أنصف أنصار التطور الموجه الإله؟

أحمد يحيى
مدير قسم البحوث البيولوجية بمركز براهين

تمهيد

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

في ربيع عام ٢٠١٣ تلقيت دعوة كريمة لحضور الصالون الثقافي الذي كان يعقده الأستاذ الدكتور عمرو شريف أستاذ جراحة الأورام بجامعة عين شمس في منزله بمصر الجديدة، وكان يدور في معظمه حول قضايا الإلحاد، خاصةً أن د. عمرو كان ينوي في هذه الفترة تأليف كتاب شامل عن الإلحاد وأطروحاته بعد كتبه السابقة التي تناولت قضايا جزئية في نفس الموضوع[١]، وقد كان هذا الصالون الثقافي فرصة عظيمة للتعرف على د. عمرو شريف عن قرب والانتفاع بعلمه الغزير مع خلافي الفكري معه، والذي دارت بسببه مناوشات خفيفة خصوصًا حول نظرية التطور والتي هي موضوع هذا الكتاب، إلا أن د. عمرو بأدبه البالغ وتهذيبه الشديد وشخصيته الرائعة كان لا يعطي الفرصة لهذا الخلاف بأن يتحول إلى عداوة وصراع صفري كما هي عادة الخلافات في وقتنا هذا. وقد تشرفت في هذا الصالون بالتعرف على د. عمرو شريف عن قرب والاستفادة من علمه واطلاعه الواسع، وكذلك تشرفت بمعرفة ثلة من العقول المتميزة مثل د. أحمد جلال ود. أحمد الغريب ود. محمد أبو الوفا ومصطفى إبراهيم ود. أحمد عمرو شريف وعُمر خالد وآخرين غيرهم. ورغم أن هذا الكتاب الذي بين أيديكم يحوي الكثير من النقد لأفكار وأطروحات د. عمرو شريف إلا أني حرصت أن لا يتجاوز هذا النقد حدود الأدب والاحترام الواجبين مع أهل الفضل والنبل والأخلاق السامية، وسعيت أن لا تفلت مني كلمة في أي موضع تتجاوز

(١) وهو الكتاب الذي صدر بالفعل بعنوان (خرافة الإلحاد) من إصدار مكتبة الشروق الدولية.

ما ينبغي للتلميذ أن يخاطب به أستاذه، وكنت أعيد صياغة بعض الفقرات إن لمست فيها ما قد يؤذي د. عمرو لما أعلمه عنه من أدبه ونبله ورقة طبعه مع إخلاصه الشديد لهذا الدين وحرصه البالغ على حفظه وصيانته، وكذلك فعلت مع جميع الفضلاء الذين وافقوا الداروينية في بعض أطروحاتها أو جلها، أسأل الله عز وجل أن يرشدنا جميعًا إلى الحق والصواب وأن يصلح قلوبنا ويجمعنا دومًا على الخير.

أما هذا الكتاب الذي بين يدي عزيزي القارئ فالغرض منه تناول نظرية داروين في النشوء والارتقاء المعروفة باسم نظرية التطور في صورتها الأخيرة المعروفة باسم النظرية الداروينية الحديثة Neo-Darwinism وعلاقتها بما ورد في نصوص الوحي في الكتاب والسنة. فالحقيقة أن القاعدة الأساسية المنهجية الذي دفعت بعض الناس لمخالفة ما ورد في نصوص الوحي بخصوص الخلق هو وجود نظرية علمية حديثة سلموا بها قبل النظر في النصوص الشرعية ودلالاتها، ثم عندما نظروا في هذه النصوص فسروها بما يتفق مع هذه النظرية، فكانت صورة الأمر أنهم تركوا دلالات النصوص الأصلية وتأولوها اعتمادًا على نظرية علمية قالوا إنه لا يمكن الجمع بينها وبين هذه الدلالات، فجعلوا النظرية العلمية هي المحكم والنص الشرعي هو الشبهة وتأولوا النصوص بما لا يتعارض معها!

فكان الهدف من هذا الكتاب هو بيان ضعف وتهافت هذه النظرية العلمية وأنها لا تنهض لمعارضة نصوص الوحي، فضلاً عن أن تفوقها في الدلالة بما يلجئ لتأويلها، وأن الأولى هو تأويل النظرية العلمية لتوافق كلام الوحي لا تأويل كلام الوحي ليوافق النظرية العلمية. وليس في هذا انتقاصٌ للعلم الحديث ومعطياته وإنجازاته ولا إعلانٌ للحرب على العلوم والثقافة والمعرفة ولا طلبٌ للجهل والتخلف والبلادة ولا

دعوةٌ للتخندق والانغلاق والسماجة، بل هي رؤية نقدية علمية عقلية شرعية منهجية للنظرية الداروينية الحديثة راعيت فيها الحق والإنصاف، وهي تنقسم إلى قسمين:

• القسم الأول: وفيه النقد العلمي للداروينية لبيان ضعفها وتهافتها في باب العلم الحديث، وأن الدعم المؤسسي والأكاديمي المقدم لها يتجاوز مجرد التأييد العلمي الطبيعي لنظرية تخطئ وتصيب، بل هو غارق حتى الآذان في الأدلجة والتحيز، فضلاً عن التضليل والتدليس المتعمد.

• القسم الثاني: هو النقد الشرعي للداروينية وبيان تعارضها مع الإيمان بالله وبما أنزله على رسله، وأن الخلاف الحاصل بين الإسلام والداروينية ليس أمرًا سطحيًا هامشيًا، بل هو يعود إلى الأصول الفلسفية المنهجية التي قامت عليها هذه النظرية. ولم يكن المقصود في هذا القسم تناول ما ذكره مؤيدو التطور من تأويلات للنصوص الشرعية، وإن كان لابد من ذلك صيانةً للنصوص وبيان وجه الحق فيها، فلهذا مقامٌ آخرٌ، لكن كان غرضي هو التناول العلمي والعقلي للنظرية ولحقيقة تعارضها مع الوحي، والكشف عن أصول نظرية داروين التي أدت إلى وقوع هذه التأويلات للنصوص، فإذا عرفت تلك الأصول ظهرت أسباب الانحراف التي ترتب عليه تأويل نصوص الوحي. وعندها يكون الأولى أن نخوض في نقد هذه الأصول وبيان أنها لا توافق الإيمان والوحي، والرد عليها وبيان زيفها وبطلانها في ذاتها، وعدم الاكتفاء بالرد على تأويلاتهم للنصوص الشرعية، وإن كان يجب الرد عليهم في ذلك أيضًا.

وإن كان لي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وعلماء المسلمين قديمًا وحديثًا أجمعين أن أشكر أحدًا من الخلق، فإني أتوجه بالشكر لأكابر محاوري منتدى التوحيد المتخصصين في دراسة الداروينية الذين

انتفعت أيما نفع واستفدت أيما فائدة من كتاباتهم وأطروحاتهم: الشيخ أبي الفداء ابن مسعود ود. حسام الدين حامد والأستاذ أحمد يحيى ود. هيثم طلعت ود. أحمد إبراهيم والمهندس أحمد محمد حسن، سائلاً الله عز وجل أن يبارك لهم ويجعلهم منارات للحق والهدى.

وأتوجه بالشكر الخاص للدكتور عبد الله بن سعيد الشهري المشرف على مركز براهين لكل ما قدمه لي من الدعم والمساندة حتى خروج هذا الكتاب إلى النور، وكذلك جميع العاملين في مركز براهين لدراسة الإلحاد الذين لم يبخلوا في توفير المراجع والمصادر المطلوبة للكتاب في أسرع وقت، أسأل الله أن يجعل إصدار هذا الكتاب في موازين حسناتهم.

وقد وضعت الكتاب في صورة مقالات طويلة تفصيلية محررة، واجتهدت في إخلاص النية أثناء كتابتها، وكنت أصلي صلاة الاستخارة قبل وضع أي مقال في الكتاب داعيًا الله إن كان في إضافة هذا المقال خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله أن يكتبه لي ويبارك لي فيه وإن كان في إضافته شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله أن يصرفه عني ويصرفني عنه وأن يقدر لي الخير حيثما كان ويرضيني به، ثم راجيًا الله أن يسددني لإصابة الحق وهداية الخلق وأن يجعل لي لسان صدق بين الناس وأن يكتب لهذا الكتاب القبول في الأرض وأن يبارك لي فيه، اللهم آمين!

د. هشام عزمي

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفهرس

لماذا هذا الكتاب؟! ٨

تمهيد ١٣

الباب الأول

نظرية التطور والعلم

مقدمة ١٨

التطور الصغير ٢٨

التطور الكبير ٣٨

النوع ٥٣

التدليس في المصطلحات ٥٨

نموذج تطبيقي ٦٦

نظرة أعمق للفرق بين التطور الصغير والتطور الكبير ٧٢

التشابهات بين الكائنات الحية ٧٩

عرض لكتاب (خرافة الدنا الخردة The Myth of Junk DNA) ٩٣

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

التطور الموجه والدين

العلم والإيمان ٩٩
جوهر الإشكال ١٠٩
درء التعارض ١٢٤
حسين الجسر والنشوئية وجهًا لوجه ١٤٤
التصور المشوه لصفة الحكمة الإلهية ١٦٤
التناقض المعرفي ١٨١
الحق واحد والباطل متعدد ١٩٣
فرانسيس كولينز والفرضية الزائدة ١٩٧
فرانسيسكو آيالا وسؤال وجود الشر في العالم ٢١٧

ملحق: خرافة نسبة نظرية التطور للمسلمين من قبل داروين ٢٢٧
المراجع ٢٤٠
الفهرس ٢٤٥



دار الكاتب للنشر والتوزيع
Dar Alkateb for Publishing and Distribution